

الفصل الرابع والعشرون

[الألم]

عندما فتحت عيني، بعد مدة الله وحده يعلمها، لم أدرك أين أنا.. ولم أدرك إن كنت حية أم لا.. لكن جاوبني الألم الذي يعتصر صدري بقوة معيداً إياي للواقع بسرعة..

حاولت استيعاب مكاني، والأحداث التي جرت لي، ثم تلفت حولي في الغرفة.. كانت صغيرة جداً، ربما بحجم غرف العزل، وإن كانت لا تحمل ذات الكآبة مع تلك النافذة التي تسمح للنور بالتغلغل من خلف الستائر..

اعتدت جالسة وأنا أشعر بتعب في أطرافني، ولأزلت أشعر بالألم في ذراعي كلها، مما ذكرني بأول مرة داهمني الألم ذاته.. كان ذلك عندما حقنت بذلك العقار على الأرض، وإن كنت لا أذكر ملابسات ذلك الوقت، والسبب الذي لأجله حقنوني به..

دفعت تلك الذكرى بعيداً وأنا أركز على الحادثة التي أدت لفقداني وعيي.. ما الذي حدث؟ أين يمكن أن أجد تفسيراً لذلك الموقف البشع الذي مررت به؟ كانت تجربة عنيفة.. وكأن رئتاي غدتا عاجزتين عن سحب نفس واحد.. أو كأنهما تمردتا عليّ ورفضتا الانصياع لأبسط أمر مني..

رباه.. هل يمكن أن يتكرر ذلك؟ لو كنت أعرف ما أصابني، لعرفت كيف أتجنبه مستقبلاً.. أو على الأقل لبحثت عن وسيلة ما.. أما شعور العجز ذاك.. فشيء لا أطيقه البتة..

حانت مني التفاتة ليدي اليسرى، لأجد ذلك السوار البغيض ملتصقاً بها.. زفرت بضيق.. ها قد عدنا لنقطة الصفر.. ذهبت كل جهودنا السابقة هباءً، وهم قطعاً لن يمنحونا فرصة ثانية لتكراره..

فتح باب الغرفة في تلك اللحظة ودلف منها حارس مع أحد المساعدين، والذي تقدم مني قائلاً "انهضي.. سنقوم بنقلك الآن"

لم أعترض بكلمة وأنا أنزل من السرير ورجفة تعتري أطرافني، لكن لم يبدُ عليهما اهتمام بضعفي البادي والحارس يقيد يديّ بقيد حديدي ويقتادني خلف المساعد عبر ممرات المبنى إلى الساحة خارجه، ومنها إلى مبنى العزل المتطرف.. ظللت أنظر للمبنى الكئيب بيأس.. ها قد عدنا من حيث بدأنا.. وأنا قد بتّ أكره مجرد النظر إلى هذا المبنى فما بالك بالبقاء فيه؟ وطبعاً لا أحلم بأن أقضي ليلة واحدة فقط فيه بعد كل ما فعلته بهروبي.. يبدو أن أيامي ستطول هنا لأمد لا أعلمه..

دخلت المبنى وتم تسجيل رقمي بجهازهم، ثم اقتادوني عبر الممرات وأنا أتعجب من اهتمام المساعد باصطحابي إلى غرفتي عوضاً عن تسليمي للمسؤول عن المبنى ككل مرة.. لكن تعجبي زال دفعة

واحدة وأنا ألج خلفهم إحدى الغرف، لأجد أمجد مقيد اليدين والقدمين بحالٍ يرثى لها.. كتمت شهقتي وأنا أنظر له بهلع.. لا أعلم كم طالت غيبوبتي، لكنه قاسى فيها الكثير كما يبدو.. بوجهه ذو الكدمات مختلفة الأحجام والألوان.. وجراح وحروق على أصابعه وسائر جسده.. لقد تلقى تعذيباً قاسياً ولا أستغرب هذا من أصحاب المؤسسة مع كل ما يرتكبونه بالأبرياء..

فتح أمجد عينيه مع النور بشيء من الصعوبة وهو ينظر لنا بغير فهم دام ثوانٍ.. ثم اتسعت عيناه وهو ينظر لي، قبل أن يهبط واقفاً ويقترب وهو يقول بصوت فيه لهفة ممزوجة برجفة خفيفة “حمراء.. أنت بخير؟ أنت حية حقاً؟”

لطمه أحد الحراس ليوقف تقدمه ويعيده أرضاً، فكسرتُ صدمتي وأنا أصبح بالمساعد بثورة “أيها الحقير.. ماذا فعلتم به؟ لماذا تعذبونه هكذا؟”

لكزني الحارس بقوة بسلاحه لأصمت، فيما لم يهتم المساعد بي وهو يقول لأمجد “والآن.. هل ستخبرنا عن مخبئكم وموقع بقية الهاربين؟ أم نلجأ لاستجوابها هي؟” هتف أمجد “لا.. أرجوكم لا تفعلوا.. سأخبركم بكل ما تريدونه”

ظلت أنظر لأمجد بغير تصديق.. هل سيخون أدهم وبسمة حقاً؟ وماذا عن عمه.. هل سيتركهم يقبضون عليه من جديد؟.. كدت أطلبه بالصمت، لكنني عضضت شفتي لأمنع نفسي من هذا.. ليس لي الحق بمطالبته بذلك بعد كل ما عاناه من تعذيب.. ليس لي الحق بمطالبته بتحمل المزيد..

شعرت بالحارس يجذبني خارج الغرفة، فلم أعترض وأنا أرى أمجد يطرق متجنباً عيني، عندها غادرت بصمت والحارس يجرنني إلى الغرفة المحددة لي.. ثم تركني فيها دون حتى أن يفك قيد يدي وأغلق الباب ليعم الظلام كالعادة..

جلست في موقعي بصمت وأنا أدفن وجهي في ذراعيّ ودموعي تسيل على خديّ دون إرادة مني.. لمنظر أمجد الذي صدمني وأثار حزني عليه.. ولمصير أدهم وبسمة الذي لن يكون أفضل حالاً بالتأكيد بعد أن يقبضوا عليهما.. ولمصيري الذي لا أعلم أين سيقودني..

هبطت بسمة واقفة لدى رؤية وليد يدلف المخبأ، وتساءلت بقلق “أين هما؟ هل هما بخير؟”

قال وليد زافراً “أجل.. إنهما في المباني الإدارية، لكنهما بخير حالياً”

قالت بسمة بذعر أكبر “كنت أعلم أنهما سيقعان في قبضة المؤسسة.. لابد أن الحراس قبضوا عليهما عند محاولتهما العودة للمخبأ القديم”

هز وليد رأسه نفيماً وقال "بل قبضوا عليهما قرب المباني الإدارية.. بالأحرى سمعت أن أمجد قد سلّم نفسه ومعه حمراء قبل أن ينكشف أمر المخبأ القديم"

قال أدهم بحدة "مستحيل.. لم قد يفعل ذلك؟"

أجاب وليد "يبدو أن حمراء كانت مصابة بنوبة اختناق حادة دفعته لأن يأخذها للمباني الإدارية كي يعالجوها.."

تساءلت بسمة بصوت مرتجف "وهل هي بخير؟ ما الذي حدث لها حقاً؟"

قال وليد وهو يجلس جانباً "إنها بخير.. لقد عالجوها قبل أن يتفاقم وضعها.. لكن حال أمجد لا يبشر بخير"

علق أدهم مقطباً "لابد أنهم استجوبوه بعنف.."

هز وليد رأسه إيجاباً، بينما علق خالد "لابد سيفعلون.. خاصة عندما يعلمون أننا هربنا من المخبأ السابق.."

فنهض أدهم قائلاً "لابد أن ننقذهما من الأسر.."

أسرع وليد يقول "لا تستعجل الأمر"

قال أدهم بحلق "ماذا تعني؟ هل سنتركهما هناك أكثر من هذا؟ مستحيل.. سأحاول إنقاذهما بمفردي لو لم ترغب بمساعدتي"

فقال وليد بصرامة "أخبرتكَ ألا تستعجل.. سننقذهما في أسرع وقت.. لكن ليس أنت بجرحك هذا"

ظل أدهم ينظر له مقطباً بانتظار تفسير لقوله، لكن وليد اتجه لخالد قائلاً "أخبرني ما هي خطتك القادمة.. يجب أن ننقذهما بأسرع ما نستطيع.. المؤسسة لن تدخر وسعاً للإطاحة بنا أكثر من أي وقت مضى"

تقدم أدهم بدوره وهو يقول بسخط "هل تتجاهلني يا هذا؟"

التفت وليد إليه وقال "لا.. لم أنت قصير الفتيل هكذا؟"

فقال أدهم بحدة "إن فسّر لي كيف ستنقذهم.. يغيظني تكتمك للأمر بغير داع.."

زفر وليد بضيق، ثم شرع يشرح خطته لأدهم وخالد القريب منهما.. بينما جلس إيريك في جانب

المكان مقيد اليدين وهو يستمع إليهم محاولاً فهم كلمة مما يقولونه بالعربية.. قبل أن يقول لنفسه

بسخط "تباً لكم.. لم لا تتحدثون بلغة نايو؟"

مر يومان وأنا لا أعرف شيئاً مما حلّ ببسمة وأدهم.. ولا أعرف مصير أمجد بين أيديهم.. ورغماً عني، رغماً عن الكره الذي وطنته في نفسي، كنت قلقة عليه.. متوترة وأنا أفكر في حاله، ومذعورة لما قد يلاقيه من عذاب على أيديهم..

تضافر حبي السابق قبل فقدانني ذاكرتي، وحبي الذي تبرعم من جديد في الكويكب العاشر، ليغلبا كرهني له قبل مجيئي هنا.. وما كان لكره واحد أن يغلب حبين عارمين.. تنهدت وأنا أفكر في وضعنا.. ما كان عليّ أن أكون قاسية معه.. بدت مشاعره صادقة عندما رأيته آخر مرة في غرفة العزل.. لم يعبأ بالآلامه وعذابه بل فكّر بي وبحمايتي.. فكيف لي أن أكذبه الآن؟ كيف لي أن أصفه بالوغد الكاذب؟ هل يطاوعني قلبي بأن أؤذيه بكلمة أو لفظة أو حتى عبوس ملامحي؟ لا أظنني أقدر على ذلك..

سمعت صوتاً خافتاً يتردد خارجاً، فلم أعبأ مع كل الإزعاج الدائر في المكان.. لقد خضعت لتحقيق مطول من أحد المساعدين، ولم يتركني إلا بعد أن أتعبني، مع وعد بعودته إليّ قريباً.. لذلك لست بمزاج يسمح بالانتباه لأي شيء حولي.. بعد فترة قصيرة رأيت الباب يفتح فيدخل منه أحد الحراس بوجهه الصارم مشهراً سلاحه.. رمشت بعيني وأنا أشعر بصداغ للنور الذي صفع عيني من الباب.. عندما وجدت الحارس يقترب مني ويفك قيد يديّ، ثم رمي عليّ ببعض الملابس وقال لي "استبدلي ملابسك بهذه بسرعة.."

لم أستوعب الأمر وأنا أنظر للملابس في يدي دون أن أميزها، ثم نظرت له وتساءلت "لماذا؟" نظر خلفه بشيء من العصبية وقال "نفذي الأمر.. أمامك دقائق معدودة.. هيا" نهضت واقفة ولاحظت أنه لا ينوي الخروج، فقلت مقطبة "لن أستبدلها وأنت واقف هنا" رأيته يضغط على السلاح بيديه بقوة وكأنه ينوي ضربني به، لكنه زفر وقال "حسناً.. لكن أسرع..". وخرج موارباً الباب خلفه دون أن يغلقه، فوقفت خلف الباب حيث لا يمكن لأحد رؤيتي واستبدلت ملابسني بالملابس الجديدة وأنا أعجز عن فهم شيء.. ولما انتهيت، فتحت الباب ووقفت أمام الحارس قائلة "هي أكبر من مقاسي قليلاً.."

نظر الحارس لي وقال "لا يهم.. أمسكي هذا واتبعيني..". أصابتني دهشة عميقة عندما رأيته يناولني سلاحاً آخر كان يعلقه على كتفه، ولما دقت النظر في ملابسني اكتشفت أنني أردي ملابس الحراس.. ما الذي يجري هنا؟.. سمعت الحارس يقول بشيء من العصبية "تأكدي من تغطية وجهك جيداً بهذه القبعة، واتبعيني بصمت دون أن تتفوهي بكلمة.. أفهمت؟" نظرت له بتعجب وغمغمت "لماذا تفعل هذا؟"

لم يجبني وهو يتقدمني بخطواته الصارمة، فلاحظت أنه لم يغلق باب غرفتي بعد خروجنا بل أبقاها مفتوحة.. تبعته وأنا أعلق السلاح على كتفي وإن قبضت عليه بيدي استعداداً للحظة التي قد اضطر فيها لاستخدامه.. لكن، لماذا قام هذا الحارس بمعاونتي على الهرب؟ ما هدفه من هذا يا ترى؟.. كانت غرفتي في الطابق الثاني، ولما مررنا بالطابق الأول ونحن ننزل على السلم وقفت وقلت له بخفوت "أحد رفاقي في غرفة هنا.. يجب أن أساعده"

سارع ليقول "لا تفعلي.. لقد أخرجوه من الغرفة منذ ساعة ولم يعودوا به..". سألته بقلق "إلى أين؟ ماذا سيفعلون به؟"

أشار لي لألتزم الصمت وهو مستمر بسيره، فتبعته وقلقي يتزايد على أمجد.. لأبد أنهم حصلوا على المعلومات التي يبيعونها منه، فما الذي سيفعلونه به عندها؟ هل سيؤذونه؟ أو ربما يفقدونه ذاكرته؟ أتمنى أن يكون بخير.. وأن ينجو معي من هذا المأزق..

عندما اجتزنا الطابق الأول، فوجئت بالحارس يدفع سلاحه بقوة في النافذة الموجودة في الحائط المجاور للسالم.. فهمست بقلق "سيسمك المسؤول عن المبنى.. ما الذي تفعله؟"

ونظرت من النافذة للمسافة الفاصلة عن الأرض مضيضة "ولا يمكنني قفز كل هذه المسافة أبداً..". قال الحارس وهو مستمر في النزول "لن تفعلي، لكننا سنوحي لهم أنك فعلت.."

علقت قائلة "لا توجد آثار أقدام في الموقع الذي من المفترض أني هبطت فيه" فقال بعصبية "سأصنع الآثار بنفسي فيما بعد.. فقط اصمتي"

وصلنا للطابق السفلي، فرأينا المسؤول واقفاً عند طاولته يتلفت.. وقبل أن أتفوه بكلمة وجدت الحارس يسرع إليه قائلاً "هل يمكننا الخروج الآن؟ لا أريد أن نلتقي بأحد الحراس هنا ونثير شك أحد"

ازداد تعجبي لمعرفة أن المسؤول متعاون معه لتهربني.. ما الذي يجري هنا حقاً؟.. سمعت المسؤول يقول بقلق متزايد "قد تلتقون بمن هو أخطر من الحراس.."

تتبعنا إشارته لنرى من النافذة الصغيرة التي تتوسط الباب أحد مساعدي قائد الحرس يتقدم مع حارس آخر.. فوجدت الحارس يدفعني وهو يقول بذعر "اختبئي"

اندفعت أقول بتوتر "أين؟"

وجدته يدفعني لأختبئ وراء طاولة المسؤول التي تملك حائزاً عرضياً يصل للأرض أخفاني تماماً.. من حسن الحظ أن الطاولة كبيرة تسعني تحتها دون خطر.. سمعت في تلك اللحظة الباب يفتح قبل أن يتعالى صوت المساعد قائلاً "أين دانييل؟ ألم يكن هنا؟"

أجاب المسؤول "لقد خرج منذ فترة قصيرة.. ولا أعلم أين ذهب"

سمعت المساعد يسأل الحارس الذي أنقذني "وأنت.. ما الذي تفعله هنا؟"

أجاب الحارس بسرعة "أنا ذاهب الآن.. لقد سقطت مني بطاقة العمل عندما جئت هذا الصباح لإيصال أحد السجناء.. فعدت لأستعيدها"

كان التوتر قد بلغ مني مبلغه وأنا أشعر بصوت المساعد قريباً جداً مني.. شعرت أنني في موقف حرج يكفيني صوت واحد لينكشف أمري تماماً.. شعرت أن أمراً لا بد سيجري.. لا بد أنني سأعطس الآن وأكشف أمري كما يحدث عادة في مثل هذه المواقف.. لا بد أن المساعد سيقدر الجلوس على كرسي المسؤول ليراني عندها.. انساب العرق على صدغي وأنا أمسك سلاحني باستعداد، لكن هدأ كل شيء مع الصمت الذي ساد وصوت باب المبنى يغلق بقوة.. عندها وجدت الحارس ينهضني وهو يقول بتوتر "لقد نجونا هذه المرة.. لنغادر قبل أن يأتي أحد غيره"

راقب الساحة من النافذة الصغيرة، ثم فتح الباب وهو يقول لي "حاولي أن تتصرفي بطبيعية ولا تثيري الانتباه أو تكثري التلفت.."

أرخيت القبعة على وجهي وحملت السلاح على كتفي، ثم سرت خلفه محاولة إكساب خطواتي بعض الصرامة.. سرنا في الساحة التي لم تكن تحوي على العديد من الحراس، بل بضعة منهم في أنحاء متفرقة.. ورأيت مركبة تقف وسط الساحة والحارس يتجه إليها.. لم يحاول أي أحد إيقافنا ولم نثر انتباه أحد، ورغم ذلك كان توتري شديداً بحيث شعرت بحرارة شديدة في رأسي وببيدي تعرق وهي ممسكة بالسلاح..

عندما وصلنا للمركبة، أشار لي الحارس لأصعد وهو يركب بدوره ويقوم بتشغيلها.. لكنني همست بقلق "وماذا عن أمجد؟ ألن نساعدته؟"

همس بشيء من الضيق "لا يمكنني أن أجول في المباني الإدارية وأنت معي.. هناك شخص آخر سيحاول مساعدته الآن، وأتمنى ألا يتأخر فلا نستطيع الانتظار كثيراً"

صمتُ وأنا أراه يتشغل بالمركبة بانتظار أمجد، فدرت ببصري في الساحة وأنا أبحث عن أي لحظة منه لأطمئن قبل أن ينكشف هروبنا.. دام انتظارنا دقائق طويلة، لكن قبل أن أرى أمجد، فوجئت بالحارس يهمس "تبا.. القائد يتجه لمبنى العزل"

رأيت القائد يخرج من أحد المباني وهو يسير إلى مبنى العزل بخطوات واسعة وغضب ظاهر على وجهه.. أهو قادم بحثاً عني؟..

فوجئت بالحارس يقود المركبة وهو يتجه للبوابة، فقلت بقلق "لم لا تنتظر بعد؟ لا بد أن يأتيها عما قريب.."

قال الحارس مقطباً "مستحيل.. قدوم القائد لمبنى العزل ليس خبراً جيداً.. سينكشف هروبك بسرعة.. ثم إن الاتفاق كان أن نلتقي خلال عشر دقائق، وهي أكثر مدة أستطيع الانتظار فيها.."

نظرت خلفي عاقدة حاجبي.. لماذا تأخر أمجد؟ إن اكتشفوا رحيلي فسيلاقي أمجد صعوبة بالهرب،

فما الذي يفعلانه الآن؟..

عندما اقتربنا من البوابة أرخيت القبعة وأدّرت رأسي بعيداً عن الحارس الذي لم يوقفنا لحسن الحظ، فتجاوزنا البوابة بسرعة لنسير في الطريق الذي يعبر المساحات الصخرية والحارس يتنهد قائلاً "لم يكشف أمرنا حتى الآن.."

سألته بتعجب "لم تفعل ذلك؟ ما هدفك من مساعدتي؟"

أجابني "ألم يخبركم وليد؟ لقد اتفقت مع حارسين آخرين على مساعدته بعد أن تبيننا حقيقة المؤسسة.. سنحاول مساعدتكم ما استطعنا دون كشف أنفسنا.. أو هذا ما أرجوه"

قلت بتعجب أكبر "لكن هروبي من مبنى العزل مستحيل.. لابد أن يقع المسؤول في مشاكل عندما يكتشفون رحيلي"

هز الحارس رأسه نفيّاً مجيباً "لقد استغللنا قدوم أحد المساعدين لغرفتكم هذا اليوم، وعندما يكتشفون رحيلك سيدعي المسؤول أن المساعد ربما لم يغلق باب غرفتك بشكل تام وأنك استغللت هذا للهرب.. لذلك حطمت النافذة لإيهاهم أنك قفزت عبرها.."

غمغمت مقطبة "تبدو لي خطة ضعيفة.. وماذا عن أجهزة المراقبة؟ لابد أن المبنى مرصّع بالكثير منها؟" قال الحارس "لقد قمنا بإفساد النظام قبل قدومي إليك بساعة على الأقل.. وعندما يتم إصلاحه لن تحمل الأجهزة أي تصوير لما حدث هناك"

عدت ببصري للخلف أنظر لما يجري في المباني التي تبتعد عنا بشكل حثيث.. ثم نظرت للأمام وأنا أزفر بقلق متزايد.. حظي كان حسناً حتى الآن، فهل سيحظى أمجد بحظ مماثل؟..

كان أمجد يجلس بتعب بالغ في إحدى غرف مبنى الإدارة، بعد كل ذلك التعذيب الذي لاقاه، لم يتركوه ليرتاح طويلاً.. نظر لقائد الحرس الواقف أمامه يتحدث عبر جهاز الاتصال، وللحارس الواقف بصرامة في جانب الغرفة، ثم خفض رأسه بإنهاك.. بعد دقائق، سمع القائد يقول بابتسامة "أنت محظوظ، لازلنا نملك كمية وفيرة من عقار (O12)، وتكفيك جرعة لتتغير حياتك هذه تماماً"

حدجه أمجد بنظرة صامته للحظات قبل أن يقول بصوت متعب "ستفقدونني ذاكرتي؟"

نظر له القائد بشيء من الدهشة ثم أطلق ضحكة عالية وقال "لست غيباً أبداً.. رغم أن أحداً من السجناء لا يعرف هوية هذا العقار، إلا أن ذكاءك يعجبني.. بالفعل.. هذا هو الحل الوحيد لكي لا تعاود محاولة الهرب من جديد.. ستفقد الذاكرة لتتخلص من كل هذا العذاب الذي أنت فيه"

قال أمجد بجفاء "تقصد أن أعود للعذاب الذي اخترتموه لي.."
 هز القائد كتفيه مجيباً "تلك مسألة نسيية.. المهم الآن، استمتع بلحظات صحتك الأخيرة.. أنتظر
 إجابة من رجالي الذين ذهبوا لمداهمة مخبئكم، وبعدها، أنت رجل جديد.."
 صمت أمجد وهو يخفض بصره.. يرجو فقط أن يكون خبر ما حدث لهم قد وصل لمن بقي في المخبأ..
 هل سيقبضون عليهم حقاً؟..

ظل القائد يطرق بإصبعه على الطاولة أمامه وهو يدندن مستمتعاً بكل ما يحدث.. بينما الحارس خلفه
 صامت متجمد في وقفته.. طال انتظارهم وقلق أمجد على رفاقه يشغله عن حاله لو أعطوه ذلك العقار..
 وبعد مدة طويلة، ربما تجاوزت نصف الساعة، تلقى القائد اتصالاً جعله يعتدل باهتمام وهو يجيب
 المتصل.. ظل يستمع عبر الجهاز للحظات قبل أن يصرخ فجأة "ماذا تعني بأنه فارغ؟ أي قول هذا؟
 أنت متأكد أنك لم تخطيء المكان؟.. أهو ذاته الموقع الذي دلّنا عليه إيريك قبل أن يختفي؟"
 عاد يستمع لما يقال وهو يحرج أمجد بنظرة غاضبة ثم قال "ابحثوا في الجوار.. فتشوا كل المخابيء
 والكهوف في ذلك الجبل.. لا تعودوا قبل أن تعثروا عليهم.. وبالأهم خالد"

وأنهى الاتصال قبل أن يقف متقدماً من أمجد.. فقبض عليه من مجمع ثيابه ليوقفه بحدة ويهزه قائلاً
 بغضب "هل خدعتني يا هذا؟ أظننت أن أمراً كهذا سيجعلني أعلن فشلي؟"
 قال أمجد بهدوء "لقد غيروا مخبأهم بعد غيابنا.. من الطبيعي أن يفعلوا وهم يعلمون أنكم لابد
 ستستجوبوني بعنف"

رماه القائد أرضاً بقوة وهو يقول بسخط "أيها الأحمق، جنيت على نفسك وعلى تلك الفتاة"
 هبّ أمجد قائلاً بقلق "لا شأن لك بها.. ستدلكم على ذات الموقع فهو حقاً كان مخبأنا"
 قال القائد بسخرية "حقاً؟ سنرى ذلك"

وركله ليسقط أرضاً من جديد، قبل أن يبتعد خارجاً من الغرفة تاركاً الحارس فيها يحرس أمجد
 الذي اعتدل جالساً بألم وهو يتمم بغضب "اللعة.. سيستجوبها بعنف بالتأكيد"
 رأى الحارس ينظر من النافذة باهتمام لدقائق طالت، فراودته فكرة أن ينقض عليه من الخلف ويفقده
 وعيه.. صحيح أن خروجه من المبنى سيكون صعباً، لكن هذه أول خطوة.. فوقف وهو عازم على تنفيذ
 قراره، لكنه فوجيء بالحارس يلتفت إليه من جديد قائلاً بصوت خافت "الآن فرصتنا الوحيدة.."
 وأسرع إليه ليفك قيد يديه وأمجد ينظر له بدهشة، ثم قال الحارس وهو يفتح الباب وينظر للممر أمام
 الغرفة "أسرع.. يجب أن نخرج قبل أن يعود القائد"
 تساءل أمجد بدهشة "لم تفعل ذلك؟.."

أجاب الحارس قائلاً "قبل القبض عليكما كنت مع اثنين من رفاقي قد التقينا بوليد وأخبرناه بعزمنا

على معاونته.. والآن هو قد طلب مني إنقاذكما قبل أن يحقنوك بذلك العقار.. ولم يعد لدينا وقت فالفائد غاضب ولن يتورع عن عقابك"

سأل أمجد بلهفة "وحمراء؟ أين هي؟ كيف هي؟"

أجاب الحارس بسرعة "بخير.. لأبد أن رفيقنا الثاني قد قام بتهريبها الآن وهما ينتظراننا في الساحة.. فلنغادر"

وخرج عبر الممر متلفتاً حوله، ثم أسرع لمخرج الطواريء الكامن آخر الممر وأمجد معه.. وهناك، ناول أمجد رداء الحراس قائلاً "استبدل ملابسك بهذه.. حتى لا يثير منظر الشبهات" أسرع أمجد يطيعه، فهو عند وصوله قد وجدهم يجردونه من ملابس الحراس التي كانت عليه ويجعلونه يعود لارتداء لباس سجين.. بعد أن انتهى قال الحارس وهو يناوله سلاحاً "حاول ألا تستخدم هذا هنا إلا لو تفجر الوضع، وأتمنى ألا يحدث هذا"

استوقفه أمجد قبل أن ينزل السلالم قائلاً باهتمام "مهلاً.. هناك أمر مهم أريد إنجازه.. فهل تساعدني؟"

قطب الحارس معلقاً "ألا تريد الهرب؟ فرصتنا تتضاءل مع كل لحظة تمضي"

قال أمجد "بل يجب أن أنجز هذا الأمر قبل رحيلي.."

وافق الحارس بعد تردد قصير.. وهكذا، بناء على طلب أمجد، كان الاثنان يغادران المبنى هذا ويتجهان لمبنى آخر عابرين الساحة محاولين ألا يلفتا الانتباه.. وقد علق الحارس أثناء ذلك "المركبة التي من المفترض أن تقلنا قد غادرت برفيقتك.. يبدو أنه لم يستطع الصبر مع رؤية القائد.."

غمر الارتياح أمجد قبل أن يسمع الحارس يضيف "أو أن خطتنا قد فشلت.. لن نعلم ما جرى حتى نخرج من هنا"

عاد القلق لأمجد وهو يقول "ألا يمكنك الاتصال به للاطمئنان عليها؟"

هز الحارس رأسه نفيماً وهو يقول "لا.. سيتم التقاط الإشارة وقد تثير الشبهات.. لا نريد المخاطرة" وصلا لمبنى آخر يتكون من طابق واحد أصغر من البقية، فدخلاه من الباب الخلفي وسارا عبر الممر الذي يقطعه وأمجد يرخي قبعته لتخفي وجهه وهما يمران بعدد من الحراس.. وبعد عدة غرف مروا بها، وقف الحارس قرب أحد الأبواب وهو يهمس "الجهاز يقع هنا.. لكن من المستحيل الاقتراب منه مع وجود حارسين بشكل دائم في المكان، بالإضافة لأحد المساعدين المسؤول عن الجهاز"

نظر أمجد عبر الباب للغرفة التي كانت تحوي عدة أجهزة موزعة فيها، ومع إشارة الحارس، نظر لجهاز اتصالات يبدو أضخم من المعتاد، بشاشة كبيرة في جانبه والعديد من التوصيلات تخرج منه وإليه.. رأى في الشاشة خارطة جيولوجية تحوي بضع نقاط خضر اللون تتحرك باستمرار.. وبين وقت

وآخر كان المساعد يقوم بتغيير الموقع لتتغير عليه النقاط وهو يتحدث بين وقت وآخر عبر سماعات أذن كبيرة على رأسه..

عاد أمجد للحارس وقال بهمس "ألا يمكن تعطيل الجهاز دون دخول الغرفة؟ ألا تعرف أين نجد توصيلات الطاقة الخاصة به؟"

هز الحارس رأسه نفيًا وقال "لا أعرف.. فلننه هذا الأمر بسرعة أو لنغادر قبل أن يسوء الوضع" عاد أمجد من حيث أتى وتأمل المبنى من الخارج لثوانٍ قبل أن يسرع لجزء معدني من الجدار ويفتح باباً صغيراً مرتفعاً بعض الشيء فيه لتظهر منه كل التوصيلات الخاصة التي تغذي المبنى بالطاقة.. فقال أمجد وهو ينظر للحارس جواره "هل تستطيع قطع هذه التوصيلات؟"

تساءل الحارس وهو يتلفت "وما أدراك أنها ستقطع الطاقة عن ذاك الجهاز؟"

قال أمجد "لنأمل ذلك.. سأنتظر في الداخل حتى يخرجوا من الغرفة ثم أعود لك"

عاد أمجد لموقع قريب من الغرفة وبقي مندساً عند زاوية لا تظهره للأعين ساعده في ذلك قلة من يمرون في هذه الممرات.. بعد دقيقة وجد النور ينقطع فجأة من المبنى كله، تعالى بعده صياح المساعد الذي قال "ما الذي حدث هنا؟ اذهب وانظر ما جرى؟"

رأى أحد الحراس يغادر الغرفة نحو مؤخرة المبنى، بينما تعالى صوت الحارس الآخر يقول "ربما هذا انقطاع كهرباء عادي"

قال المساعد بحدة "ليس من المفترض أن يحدث هذا.. الكهرباء لا تنقطع عن المباني أبداً إلا لو قمنا بتفجير موزع الكهرباء.. والآن كل الأجهزة قد أغلقت"

سمع أمجد الحارس الأول يركض عائداً للغرفة ليقول بعد أن دخلها "هناك من قطع التوصيلات في مجمع الطاقة في الخلف.."

صاح المساعد "ماذا؟ ولم يفعل أحد هذا؟"

خرج المساعد بعدها والحارسين يتبعانه بشكل حثيث متجهين لمؤخرة المبنى، فانتظرهم أمجد حتى ابتعدوا مسافة طويلة، ثم تحرك من موقعه ودلف الغرفة ليغلق بابها خلفه.. وأسرع للجهاز الرابض في موقعه وهو يتأمل شاشته التي لطالما استعبدتهم.. رفع سلاحه مقلوباً، وبكل قوته هوى على الشاشة وعلى أجزاء الجهاز بضربات حملها عنقه كله.. دامت الفوضى لحظات قليلة وأمجد لا يدخر جهداً في تحطيم كل ما أمامه، عندما أوقفته يد قبضت على سلاحه بقوة وصوت خلفه يقول "ما الذي تفعله أيها المجنون؟"

نظر خلفه ليجد المساعد قد عاد ووجهه غاضب لما يراه، ولما لمح وجه أمجد اتسعت عيناه وهو يقول "أنت؟ كيف وصلت إلى هنا؟"

لم ينتظر أمجد وهو يوجه لكمة قوية لوجه المساعد ألقته أرضاً.. ومع صوت الخطوات التي تردت خارج الغرفة، لم ينتظر أمجد أكثر من هذا وهو يغادر مرخياً القبعة على وجهه.. رأى الحارسين يعودان للغرفة، ولم يكادا يدخلانها حتى أسلم أمجد قدميه للريح وهو يركض عبر الممر وعبر الباب الخلفي للمبنى.. وهناك، وقف قليلاً ينظر حوله قبل أن يرى الحارس الذي قام بتهريبه يهرع إليه متسائلاً "هل أنجزت مهمتك؟"

هز أمجد رأسه إيجاباً وهو يقول بسرعة "أجل.. لكن المساعد رآني.. لابد أن نغادر الآن" قال الحارس بقلق "هذا معناه أن أمري قد كشف.. لنذهب"

قبل أن يتحركا سمعا صياح الحارسين وهما يركضان نحوهما، فتحرك الحارس بسرعة وهو يركض حول المبنى وأمجد خلفه.. سمعه أمجد يقول "نجاتنا ستكون بالوصول لإحدى المركبات قبل أن يعوقنا شيء"

ظهر أمامهما فجأة أحد الحراس وهو يرفع سلاحه صائحاً "توقفا.."

ومن خلفهم تقدم الحارسين الآخرين بسلاحيهما، فلم يكن من أمجد والحارس معه إلا أن قفزا خلف صناديق قريبة منهما والحارس أمامهما يطلق رصاصاته بغية تخويفهما.. كانت الصناديق قريبة من السور الحديدي مما منحهما تغطية جيدة والرصاصات تصيب الصناديق للحظات قبل أن تتوقف.. غمغم الحارس وهو ينظر من فوق الصناديق "لا تلمس السور خلفك.. إنه مكهرب"

نظر أمجد للسور خلفه والذي يكاد يلمس ملابسه، ثم نظر بدوره من فوق الصناديق ليرى بعض الحراس يتقدمون منهما، ولم يلبث قائد الحراس أن خرج من مبنى العزل وهو يصرخ بغضب.. فغمغم الحارس "الأمور تزداد صعوبة.. لو أمسكوا بنا فقد يتخلصون مني لأني لن أفيدهم بأي معلومة" قال أمجد بشيء من الثقة "لن ندعهم يمسكون بنا"

رفعا سلاحيهما وبدءا يطلقان النار على الحراس القريبين ليمنعا تقدمهم.. لكن لم يكن الحال ليديم للأبد والحارس يعلق "سيجعلوننا نفرغ رصاصاتنا ثم سيقبضون علينا بعدها بكل سهولة" نظر أمجد حوله محاولاً إيجاد ثغرة لهروبهم.. كان موقفهم ضعيفاً جداً، وعقابهم سيكون أشد من السابق.. فما الذي يمكنهما فعله؟ عاد يطلق رصاصاته على بعض الحراس الذين تقدموا منهما، وهذه المرة أصابهم إصابات متفرقة في الساق واليد دون أن تكون الإصابة قاتلة، ثم صاح بالحارس "النهرب الآن"

أوقفه الحارس قبل أن يخرج من خلف الصناديق وقال بلهفة "كلا.. ليس بعد"

نظر له أمجد بدهشة والحارس يضيف "يبدو أن القدر لم يرد لنا الفشل بعد"

نظر أمجد خلف الصناديق بدهشة وهو يرى المزيد من الحراس يتقدمون منهما.. موقفهما يسوء

تدريجياً، والقائد بنفسه يقف على مبعده يراقب الموقف.. فما الذي تغير في هذا الوضع ليكتسب الحارس كل هذه الثقة؟..

سمع صوت إحدى المركبات وقائدها يقودها بتهور وسط الساحة نحوهما، فيما استدار إليه الحراس وهم يتدافعون من طريقه والغضب يبدو شديداً على قائد الحرس وهو يصرخ على رجاله ليوقفوه.. توقفت المركبة بين الصناديق وبين بقية الحراس بقوة مثيرة سحابة من الغبار، فصاح الحارس قرب أمجد "لنذهب"

تبعه أمجد تلقائياً وهما يقفزان في المركبة قرب قائدها بينما بدأت الرصاصات تتناثر من حولهما دون أن تصيبهم بسبب الغبار الذي أغشى الأعين.. فقال الحارس لقائد المركبة "انطلق قبل أن يغلقوا البوابة"

قال القائد بتوتر "لقد أغلقوها بالفعل.."

خفضوا رؤوسهم لدى تزايد الرصاص من حولهم وانقشاع سحابة الغبار، وقال أمجد مقطباً "ما الحل إذن؟ سيصيبوننا بالتأكيد فهم أكثر"

رأوا قائد المركبة ينظر للسور الحديدي من خلفهم، فهتف الحارس "لا تحاول.."

قام القائد بقيادة مركبته في دورة واسعة في الساحة وهو يقول "هذا هو المخرج الوحيد.."

تراكض الحراس مبتعدين وهو يكمل دورته حتى وقف مقابل السور.. فدفع إطارات مركبته لتدور بأقصى سرعتها دون أن يفلت المكابح وهو يهتف لهما "انخفضا"

ثم رفع قدمه عن المكابح لتندفع السيارة بسرعة نحو السور الحديدي فترطم به بقوة وتحطم جزءاً كبيراً منه مع فرقعة عالية دوت فوق رؤوسهم وهم يخفضونها ويتشبثون بالمركبة التي اهتزت بعنف قبل أن تكمل طريقها خارج الساحة والرصاصات تلاحقها بغزارة.. نظر الحارس وأمجد خلفهما للبليلة التي حدثت قبل أن يلتفت الحارس لقائد المركبة قائلاً "كيف تخلّيت عن موقعك في مبنى العزل؟ لو لم تكشف نفسك لبقيت في عملك دون أن تثير الشبهات"

قال القائد الذي لم يكن إلا المسؤول عن مبنى العزل "لابد أن تعود الشبهات إليّ بعد هروب الفتاة..

الآن يجب أن نحذر دان من العودة للمباني.."

سأله أمجد بلهفة "حمراء هربت؟ أنت متأكد؟"

علق القائد "حمراء؟ إن كنت تقصد الفتاة فقد هرب بها دان قبل المعركة التي أثمرتها بوقت قصير.."

أسرع الحارس يجري اتصاله بالحارس الآخر قائلاً "دان.. لقد نجحت العملية لكن كشف أمرنا

جميعاً.. لا تعد.. سنلتقي في الموقع المحدد سلفاً"

ثم قام كل من الرجلين بنزع جهاز الاتصال المكون من ساعة في اليد وقطعة صغيرة في الأذن رمياها

من المركبة.. فعلق أمجد "قلت إنك لا تستطيع إجراء اتصال دون أن تكشف أمرك"
علق الحارس "ولقد كشف أمرنا بالفعل"
فور وصولهم للغابة التي غطتهم عن الأنظار، وجدهم أمجد يوقفون المركبة وينزلون منها والحارس يقول
"يجب أن نبتعد.. لابد أن عدة مركبات ستحاول اللحاق بنا.. هروبنا في الغابة بعيداً عن هذا الطريق
هو أفضل لنا فسيستغرقون وقتاً للحاق بنا على الأقدام"
أطاعهم أمجد وهم يتخلون عن المركبة ويبدأون الركض بين أشجار الغابة محاولين التوغل فيها قبل
قدوم بقية الحراس خلفهم..
